فانلة زرقاء مخططة

1

ابتسمتْ عندما رأتني أرتدي تلك الفانلة القطنية المخططة. تحسستها وهي تواصل الضحك: «بحبها أوي عليك. شبه عصابة القناع الأسود». فانلـة زرقاء داكنة بها خطوط بيضاء عريضـة. اقتربت مني فوق الفراش ليقتحمني عطرها الخافت الممتزج برائحتها الشهية المتصاعدة؛ «عموما أنا بحب عصابة القناع الأسود». تنظر لي بدلال وهي تقول بهمس: «عارفة، وأنا كمان بحبهم». تصمت قليلًا لتكمل بصوت متقطع مبحوح «أوي». تمـد يدهـا لتطفئ النـور جانبي، كان يزعجنـي الظلام إلا أننـي لم أهتم. لا يهم الضوء في حضورها البهي.

2

كان غريبًا أن تطلب مني ذلك في مثل هذه اللحظة. ظنَّنت أنها تتدلل، وتتمنع؛ لكنها أصرتْ، ابتعدتْ عن حضني قليلًا وهي تؤكد طلبها. شعرت بالفتور قليلًا، فاستندت للوراء وأنا أشعل سيجارة.

«ما المشكلة؟» قالتها بصوت هامس مبحوح وهي تتناول السيجارة من بين أصابعي. «لا مشكلة»، وأنا أحاول أن أتناول الأمر باعتيادية. تقترب مني من جديد. وهي تمرر يدها على رقبتي وتنفخ الدخان ببطء خلف أذني. أحاول أن أفكر في الأمر؛ لكني قررت أن أنفذ لها طلبها. نهضتُ من مكاني، واتجهت للدولاب لأفتحه وأتناول من الداخل الفانلة الزرقاء. ارتديتها وعدت للفراش من جديد.

«حلوة على البوكسر الأزرق»؛ وهي تتحسس الفانلة بشبق. غبنا في قبلة طويلة محمومة. مدَّتُ يدَي لأخلع الفانلة لكنَّها أوقفتني: «خليها». تعجَّبَت لكنَّي واصلت تداخلي في ثنايا جسدها الساخن. توقَّعت أن تطفئ النور؛ لكنَّها لم تفعل. ظلَّتْ تتحسس الفانلة فوق جسدي بشبق متزايد أثارني أكثر. تمسك بها بين أصابعها وهي تشدُّني منها. لم يشغل الأمر بالي، ولم أنتبه أنها قبل أن تصل، عضَّتْ طرف الفانلة بدلًا من أن تعض رقبتي كما اعتادتْ أن تفعل.

3

عندمـا عُدت من الخارج كانت ترتديها وحدها. كبيرة واسـعة عليها لكنَّها كانتْ سعيدةً بها. طويلة تغطي مؤخرتها العارية. وقفتْ أمامي تدور حول نفسها: «إيه رأيك؟» أنظر لها بدهشة قليلًا، وأنا أتأملها عليها. كانتْ ممطوطةً قليلًا من ليلة الأمس. تلفُّ ذراعيها حول نفسـها بشـغف وهي تحرك الفانلة فوق جسـدها العاري. كنتُ متعبًا؛ لكنَّها كانت مثيرةً وهي تتحرك حول نفسـها بخفَّةٍ. تقترب منِّي وهي تشـدُّ طـرف الفانلة لأعلى لتكشـف عن ثنايا جسـدها ببطء وغنج. اقتربتُ منهـا وأنا أنزع ملابسي وأتركها تتساقط خلفي.

مددتُ يدي لأنزع الفانلة؛ لكنَّها انتفضتْ وتراجعتْ للخلف بانزعاج. نظرتُ لها غير فاهم لكنَّها همستْ: «كدا. هانعمل دا وأنا لبساها». شعرتُ بضيـق مفاجئ وانطفـاء؛ لكنَّها كانتْ سريعةً، ودافئـةً وهي تقترب منِّي لتلتصق بي. تمسك بكفِّي لتمرره على ظهرها من فوق الفانلة، تهمس بصوت مبحوح خافتْ: «الفانلة سخنة أوي.. حاسس». كنتُ أحسُّ بدفء جسدها المتصاعد، فهمهمتُ وأنا أمرر يدي لأسفل لأصل لجسدها. لكنَّها للمرَّةِ الثانية تنتفض، وتقبض على كفِّي بعنف: «خلي إيدك فوق». انطفأتُ تمامًا، وأنا أتراجع على الأرض لأستند على الحائط خلفي. لم أكن أفهم ما بها. أنظر لها بحيرة وغضب مكتوم. لكن بدا أنها لم تهتم. ظلَّتْ مستلقيةً على الأرض تتلوَّى عليها وهي تمرر كفيها المفتوحين فوق الفانلة كأنما تمزجها بجلدها

العاري المشدود أسـفلها. تلهث وصوت تنفسها يعلو بحرارة. تتحسس الفانلـة فوقها بجنون وهي تواصل التلوي أمامي. تقترب لتشـدني مجددًا وتلفُّ سـاقيها حولي، كانتْ حركتُها مثـيرة. وصوتها المبحوح المتحشرج ساخنٌ. استسلمتُ لها محاولًا تناسي الفانلة التي تحول بين تلامسنا الكامل، وحاولتُ الانتهاء سريعًا لأتركها بعدها على الأرض مغمضة العينين، تلهث وهي تحتضن بكفيها طرفي الفانلة بشبق لم أره فيها من قبل.

4

نسـيتُ الأمر، أو تناسيتُه، ظلَّ عالقًا في بالي قليلًا، لكني لم أعرف ماذا أقول. هل أقول لها أنها تهتم بالفانلة أكثر مما تفعل معي؟ كنتُ أنظر للفانلة التي تعلقها على ضلفة دولابها باهتمام ولا أفهم الأمر. هل أشعر بالغيرة من فانلة! فانلة قطنية تزاحمني الفراش! رفضتْ هي أن آخذها ثانية، طلبتْ أن أتركها لها ففعلت. تلبسها وحدها كل يوم قبل أن تنام؛ تقريبًا لا ترتدي غيرها طوال اليوم، وعند النوم أيضًا. كان الأمر غريبًا غير قابل للتفسير.

ذلـك اليوم عدتُ من الخارج متأخرًا. وصلنـي صوتُها وأنا على باب الشقَّة، تجمدتُ لثوانٍ وآهاتها تصلني عالية ساخنة. شعرتُ بانقباضة حادة في معدتي خطوتُ نحو غرفة النوم وأنا أرتعش. كان الباب مواربًا وضوء الأباجـورة الخافت يتسرب للخارج مع صوتها. كانتْ وحدها مسـتلقية على الفراش تتلوىَّ وهي تحرك رأسـها ليتناثر شعرها حولها. كانتْ تضمُّ

يدها على صدرها كأنها تحتضن أحدًا. اقتربتُ عبر الباب قليلًا، لأرى أنها تحتضــن الفانلة في حضنها وبين فخذيها بجنــون. والفانلة بدَتْ لي قليلًا، كأنَّها تتحرك فوقها وحدها، لأعلى وأسفل بثقةٍ وثبات.